

معضلة النشر الطبي المعاصر

Rethinking Medical Publishing

Abstract

This article examines the rapid expansion of biomedical publishing and how metric-driven incentives and uneven editorial standards entrench a "publish or perish" culture that can degrade research quality and ethics. The COVID-19 period marked an inflection point, with accelerated review cycles linked to more retractions and public confusion. Documented effects include fragmented ("salami") publications, duplication, questionable credit/contributor practices, and reduced time for teaching and patient care. The article recommends rebalancing institutional incentives toward patient safety, high-quality education, and clinically meaningful work, supported by clearer, harmonized publishing policies. Proposed remedies include dual promotion tracks that recognize either rigorous research or demonstrated clinical excellence, so publication counts do not overshadow bedside outcomes and training quality.



نورس بن عيسى دياب

استشاري جراحة القلب
والعناية المشددة الجراحية
جامعة فرايبورغ - ألمانيا
حاصل على تخصص في
جراحة القلب عام ٢٠١٦ من
جامعة فرايبورغ في ألمانيا
زميل البورد الأوروبي لجراحة
القلب عند البالغين ٢٠١٩
Fellowship of the
European Board of
Cardiothoracic
Surgery FEBCTS
(Cardiac)
منذ عام ٢٠٢٢ استشاري
جراحة القلب في نفس
القسم
حاصل على شهادة تكميلية
في طب العناية المشددة
الجراحية من ألمانيا
مسؤول القسم الطبي
التعليمي في نفس القسم في
جامعة فرايبورغ

المجالات العلمية(3).

ولا تزال الدوريات العلمية تتمتع باستقلالية فرض شروط ومعايير النشر الخاصة بها، وبهذا تفتقد هذه الدوريات وبالأخص الطبية منها إلى سياسات نشر موحدة تتعلق بتنسيق المنشور وطرق الاقتباس وعدد الكلمات والصور المسموحة وغيرها من الأمور التي ترهق الباحث وتسرق وقته حرفياً كلما اضطر إلى تقديم بحثه إلى دورية جديدة بعد رفضها.

وبالرغم من هذا التعقيد، إلا أنه لم يقف حائلاً دون فرط وفرة النشر الطبي. فوفقاً لإحدى الدراسات الصادرة مؤخراً قدرت عدد الأوراق العلمية الطبية المنشورة بـ 26 ورقة في الثانية الواحدة، ما يفرض على الطبيب قراءة حوالي خمسة آلاف بحث علمي طبي في اليوم إن أراد البقاء على اطلاع متجدد (3)، وهو محال وخارج حدود الاستطاعة البشرية.

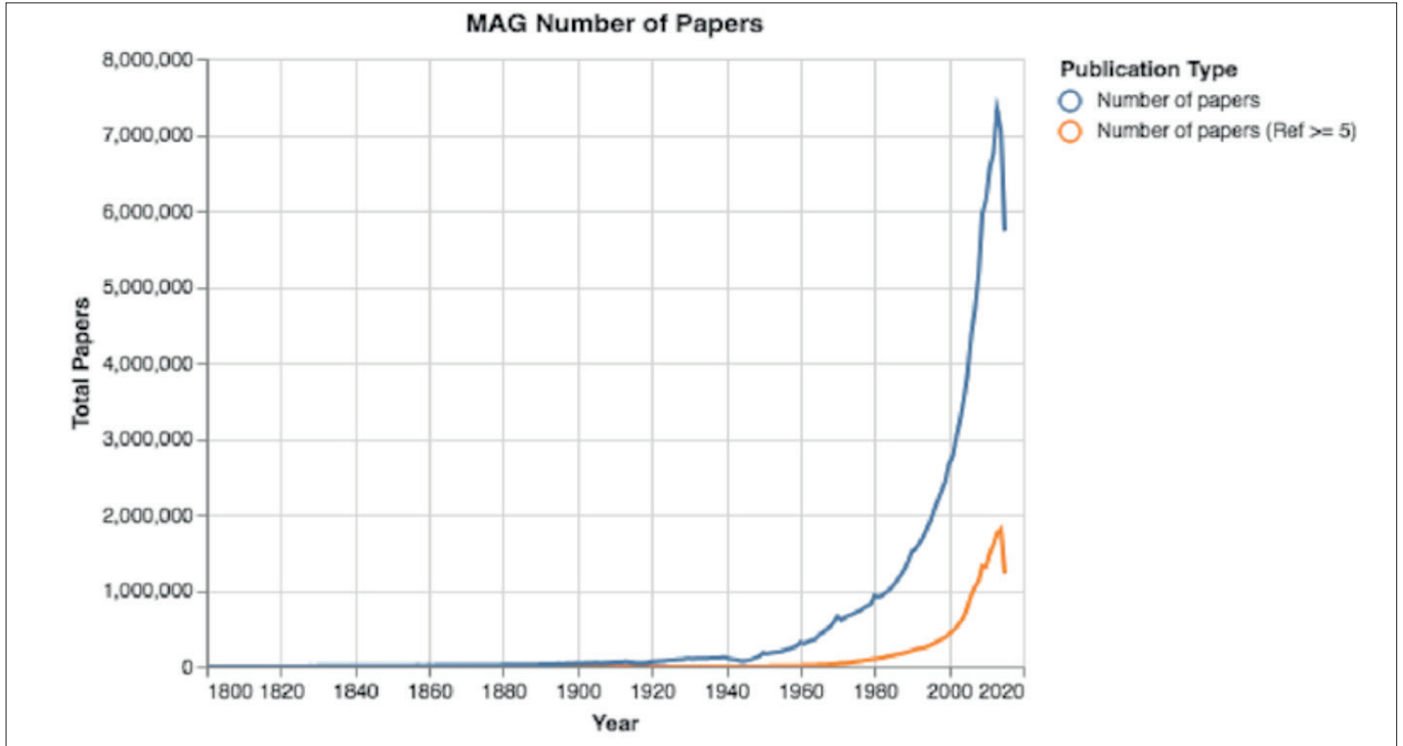
طفرة الأبحاث والنشر الطبي إبان جائحة كورونا:

ساهمت جائحة كورونا في مفاومة أزمة فرط النشر الطبي، إذا فُدر عدد الأبحاث المرتبطة بفيروس الكورونا بـ 200 بحث في اليوم(4)، الأمر الذي وضع محرري ومحكمي الدوريات الطبية تحت ضغط ومسؤولية كبيرة تجاه العالم كله. وهي الجائحة الأولى عملياً التي شهدها العالم في العصر الرقمي الجديد، عصر ثورة الاتصالات والإنترنت.

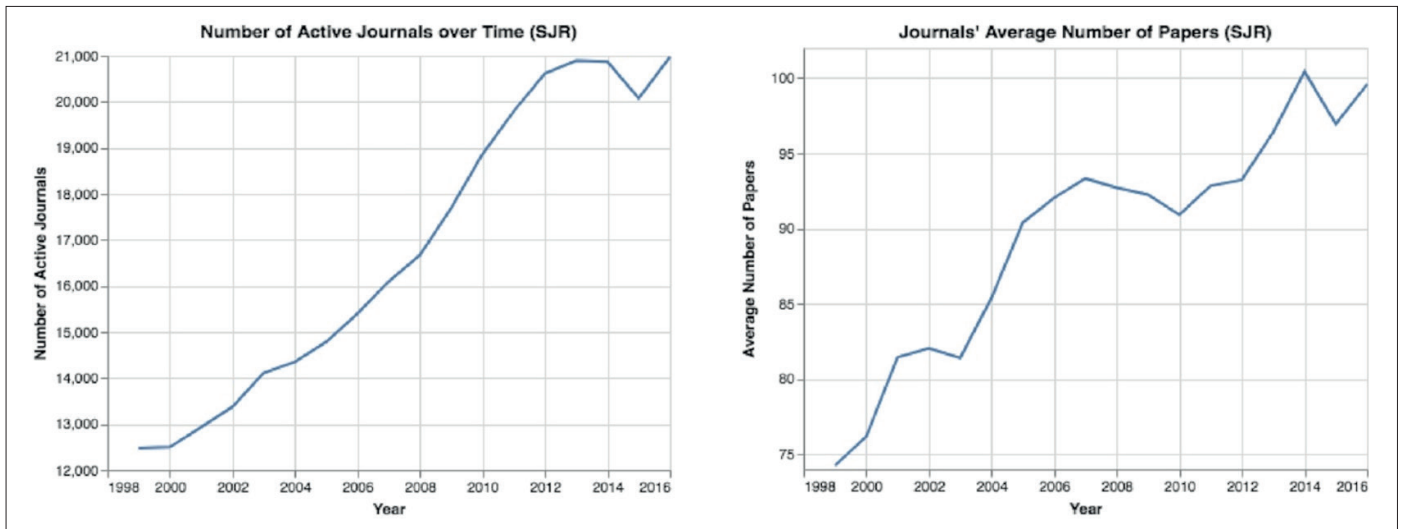
يعد نشر الأوراق العلمية بشكل دوري أحد الوسائل الفعالة القليلة المتاحة للعلماء لإظهار موهبتهم الأكاديمية أمام أقرانهم. ويجلب النشر العلمي انتباهاً إلى العلماء كأفراد وإلى مؤسساتهم الأكاديمية ككيانات علمية باحثة، الأمر الذي قد يؤدي في نهاية المطاف إلى جلب تمويل إضافي للمؤسسة ويضمن للنشر الترقى في مجاله. تستخدم المؤسسات الأكاديمية والجامعات عادةً عدد النشرات المنسوبة للفرد كمقياس للكفاءة، ويستخدم المسؤولون هذا المعيار أثناء عمليات التوظيف. وبناءً عليه يمكن أن يجد أولئك الذين ينشرون بشكل نادر أو الذين يركزون على أنشطة لا تؤدي إلى نشر مقالات، أنفسهم خارج المنافسة على العديد من الوظائف.

تشير البيانات الحديثة إلى أن عدد الأبحاث العلمية المنشورة قد ارتفع بنسبة 8-9% سنوياً على مدى العقود الماضية. ففي مجال الطب الحيوي وحده، يتدفق أكثر من مليون ورقة بحث إلى قاعدة بيانات PubMed سنوياً، أي ما يقرب من ورقتين بحثيتين في الدقيقة(1). وبالحدث عن النشر الأكاديمي العام فإن الرقم يتجاوز ذلك بكثير، ففي السنوات الأخيرة، كان هناك ارتفاع في عدد الأوراق الأكاديمية المنشورة بأكثر من 7 ملايين ورقة جديدة كل عام من ضمنها أكثر 1.8 مليون ورقة تتضمن أكثر من خمس مراجع (الشكل 1) (2).

وبطبيعة الحال تراكمت هذه الزيادة مع زيادة عدد الدوريات العلمية أيضاً (الشكل 2) مع العلم أن النشر طبي قد بدأ في بدايات القرن السابع عشر سابقاً بذلك بقية



الشكل 1: الزيادة المضطردة في عدد الأوراق العلمية المنشورة منذ الثمانينات وحت عام 2020



الشكل 2: الزيادة المضطردة في عدد الدوريات العلمية والأوراق العلمية المنشورة منذ الثمانينات وحتى عام 2015

المعتادة ليقوموا بتحكييم الأوراق العلمية الخاصة بالجائحة والفيروس بسرعة، كما يقول ثيودورا بلوم، المحرر التنفيذي لدورية BMJ.

وتُظهر قاعدة بيانات PubMed أن المقالات الخمس الأكثر اقتباساً في مجلة Lancet منذ عام 2020 - ومعظمها كان عن بيانات فيروس كورونا المبكرة - كانت قد قُبلت في غضون 14

الذي أدى إلى تغيير جذري في طرق إصدار الأوراق العلمية وتحكييمها إيجاباً وسلباً على حد سواء.

وبحلول نهاية عام 2022، احتوت قاعدة بيانات covid-19 التابعة لمنظمة الصحة العالمية على 742202 منشور طبي. وتلبية مثل هذا الطلب المتزايد، وُضع جميع محكمو الدوريات الطبية تحت الضغط، وغالباً ما تم نقلهم من أدوارهم

في ظل قوانين الحظر تمت إضافة 1.5 مليون ورقة بحثية عام 2020 لوحده، وهي أكبر زيادة في تاريخ النشر في عام واحد(4). وبناء عليه وافق عدد من المجلات والمؤسسات البحثية على تعهد بمشاركة البيانات ونتائج الأبحاث المرتبطة بهذا التفشي بسرعة وشفافية بغرض توجيه إجراءات الصحة العامة والمساعدة في إنقاذ الأرواح(5)، الأمر

يوماً ونشرت في غضون 22 يوماً من استلامها.

وتحت ذريعة "القليل من المعرفة خيرٌ من عدم المعرفة" في وضع خطة طوارئ للصحة العامة تم نشر كميات هائلة ومزيج من أبحاث لا تنشر عادة كمقالات الرأي والبحوث الرصدية والبحوث المكررة وتقارير الحالة والتجارب الصغيرة والبحوث غير الخاضعة للرقابة، مما أثار حفيظة نقاد المجتمع الطبي، وتزعزت ثقة المجتمع الطبي بشكل حرج إبان سحب بعض الأوراق العلمية من أمهات الدوريات الطبية كـ NEJM و LANCET، حيث أظهرت هذه الأوراق فعالية مبكرة لمركب هيدروكسي كلوروكين في علاج Covid-19 وتبين لاحقاً أنها زائفة. (6) وقد بلغ عدد الأوراق العلمية الخاصة بـ covid-19 والتي تم سحبها حتى تاريخ 30.10.2025 582 ورقة علمية وفقاً لموقع Retraction Watch الذي يرصد هذه الظاهرة. (6)

النشر أو الهلاك:

يُمارس ضغط هائل ومتزايد على الأطباء بغية نشر المزيد من الأوراق العلمية، ومنع هذا الضغط هو إما ذاتي بهدف الترقى الوظيفي أو خارجي من قبل المؤسسة الطبية بهدف استمرار تدفق التمويل الخاص بالأبحاث العلمية أو حتى بهدف المحافظة على سمعة المؤسسة وتعزيزها. وتختلف هذه الضغوط باختلاف البلدان والمؤسسات الطبية، لدرجة أن عبارة "نشر أو اندثر" التي صاغها Coolidge لأول مرة عام 1932 (7) أصبحت واقعاً قاسياً في العالم الأكاديمي، لاسيما الغربي، الأمر الذي يلقي بتأثيرات سلبية على الباحثين أنفسهم، ويمكن لهذا الضغط أن يدفع باتجاه البحث غير الأخلاقي. ويعتبر بعض علماء النفس أن هذا الضغط يندرج تحت نوع من أنواع التوتر والإجهاد النفسي الذي قد يؤدي إلى انكماش القدرة على اتخاذ قرارات أخلاقية أو حتى يدفع باتجاه ممارسة سلوكيات خطيرة ومعيبة كسوء السلوك العلمي. (8)

لقد أدى التركيز على النشر إلى تقليل قيمة البحوث الناتجة، حيث يجد العلماء أنفسهم يقضون وقتهم في سباق لنشر أي شيء قابل للنشر بغض النظر عن المحتوى والقيمة العلمية، بدلاً من قضاء الوقت في تطوير برامج بحثية ذات أهمية. ومن ناحية أخرى أدى الضغط الممارس بهدف النشر أيضاً إلى التقليل من الوقت والجهد الذي يمكن للأساتذة تخصيصه لتدريس الطلاب الجامعيين والدراسات العليا. فالمكافآت التي تأتي نتيجة للتدريس الاستثنائي نادراً ما تتناسب

مع مكافآت البحث الاستثنائي، مما يدفع أعضاء هيئة التدريس إلى ترتيب الأولويات بطريقة توافق نظام المكافأة هذا. وكثير من الجامعات لا تركز على قدرة الأستاذ على التدريس وملكاته التعليمية عند توظيف أعضاء هيئة التدريس الجدد وتنظر فقط إلى قائمة النشر العلمي الخاصة بالمتقدم. وهذا التركيز الحصري على الأستاذ الجامعي (البروفيسور) كباحث قد يؤدي إلى إهماله أو سحق قدرته على أداء بعض المسؤوليات الأخرى، لاسيما إن كان طبيباً ممارساً.

إلى أين نتجه:

أدت زيادة عدد النشرات العلمية إلى ارتفاع الممارسات غير الأخلاقية، وازدياد وتيرة ممارسات البحث المشكوك فيها مثل تقسيم البحث إلى عدة أبحاث صغيرة بهدف زيادة عدد مرات النشر، السرقة الأدبية، النشر المكرر، والغش، وظاهرة الكاتب الشبح وهنا يكتب البحث كاتب ظل نيابة عن باحث آخر مقابل أجر مادي وغير ذلك. وليس خفياً على أحد الغش والتزوير الشهير برجل Piltown، حيث تم دمج فك الفك السفلي لقرود الأورانج مع جمجمة رجل حديث بالكامل وروج له على أنه اكتشاف الحلقة المفقودة المفترضة كوسيط في تطور hominids من القرود، حيث عُثر على الجمجمة في حفرة رملية في Piltown في إنجلترا بواسطة تشارلز داوسون في عام 1912. ولم يكشف عن الغش إلا عام 1953، أي بعد 40 عاماً (9).

خصوصية المؤسسات الأكاديمية الطبية:

ما من شك أن البحث العلمي ضرورة لتطور العلم وتقدم المسار الوظيفي. لكن التفتات المسؤولين والجامعات المتزايد إلى سيرة الفرد في النشر العلمي أثناء التوظيف تقود إلى ضغط لا هوادة فيه للنشر بأي ثمن من أجل زيادة عدد النشرات في السيرة الذاتية وتعزيز اسم المؤسسة الأكاديمية، مع العلم أن هذا الالتزام تجاه النشر لم يؤدي إلى زيادة عدد النشرات منخفضة الجودة وحسب، وإنما إلى زيادة الممارسات غير الأخلاقية والاحتيال. وبالنظر إلى خصوصية الحقل الطبي السريري، ينبغي هنا وضع صحة المريض وسلامته وجودة العلاج في قمة الأهداف والأولويات، الأمر الذي يتطلب اتخاذ خطوات أكثر صرامة وجدية تجاه التعليم الطبي وزيادة كفاءة الأطباء وخبرتهم السريرية بدلاً من الرغبة في البحث والنشر، خاصة في البلدان النامية، التي تحذو حذو الغرب خطوة بخطوة، لاسيما أن ممارسة المزيد

من الضغط على الأطباء الذين يعانون أصلاً من ضغط وظيفي هائل قد يفاقم الأخطاء الطبية بغير قصد. ولا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تكون الرغبة في النشر مقدمة على صحة المرضى أو على حساب التعليم الطبي للطلاب. فالمرضى في نهاية الأمر يبحث عن الطبيب الممارس الخبير الذي يقدم له خدمة طبية ذات جودة عالية تشفيه من معاناته وتحل له معضلة المرضية، ولن يكتفوا بعدد منشورات هذا الطبيب ولا إن كان يحمل لقب باحث علمي أم لا. مؤخراً بدأت تظهر في بعض المؤسسات الصحية الأكاديمية الغربية مبادرات لا تعزو أن تكون فردية تتيح للأطباء اتخاذ أحد اتجاهين، إما الترقى الوظيفي على أساس أكاديمي، أي بناء على قدرة الطبيب على إنجاز أبحاث علمية واعدة ونشر الأوراق العلمية في أمهات الدوريات الطبية، أو الترقى الوظيفي بناءً تطوير وتعزيز الخبرة السريرية والأداء الطبي بهدف الوصول إلى أفضل ممارسة وتعميقها ونقلها للمتدربين الجدد.

المراجع

1. Scientific literature: Information overload | Nature [Internet]. [cited 2023 Aug 19]. Available from: <https://www.nature.com/articles/nj7612-457a>
2. Fire M, Guestrin C. Over-optimization of academic publishing metrics: observing Goodhart's Law in action. GigaScience. 2019 Jun 1;8(6):giz053.
3. Garba S, Ahmed A, Mai A, Makama G, Odigie V. Proliferations of Scientific Medical Journals: A Burden or A Blessing. Oman Med J. 2010 Oct;25(4):311-4.
4. Clark J. How covid-19 bolstered an already perverse publishing system. BMJ. 2023 Mar 28;380:p689.
5. Wellcome [Internet]. 2020 [cited 2023 Aug 20]. Coronaviruses (COVID-19): sharing research data. Available from: <https://wellcome.org/press-release/sharing-research-data-and-findings-relevant-novel-coronavirus-ncov-outbreak>
6. Retracted coronavirus (COVID-19) papers [Internet]. Retraction Watch. 2020 [cited 2023 Aug 22]. Available from: <https://retractionwatch.com/retracted-coronavirus-covid-19-papers/>
7. Coolidge HJ, editor. United States: Books for Libraries; 1932. Archibald Cary Coolidge: Life and Letters; p. 308.
8. Paruzel-Czachura M, Baran L, Spindel Z. Publish or be ethical? Publishing pressure and scientific misconduct in research. Res Ethics. 2021 Jul 1;17(3):375-97.
9. The Times; 1953. Nov 23, Museums Correspondent. Piltown man Forgery; p. 8.